فصلنامه تحقیقات جدید در علوم انسانی

Human Sciences Research Journal

دوره چهارم، شماره ۲۸، تابستان ۱۳۹۹، صص ۲۹۷-۲۹۱

New Period 4, No 28, 2020, P 291-297

ISSN (2476-7018) شماره شاپا (۲٤۷٦-۷۰۱۸)

معاهدة فردان ۸۴۳ م. ونتائجها القومية فی أوربا

أ.د. رحيم عبد الحسين عباس / جامعة كربلاء\ كلية التربية للعلوم الانسانية

د. هاشم ناصر حسين الكعبی / جامعة كربلاء\ كلية التربية للعلوم الانسانية

م. د. نعيم عبد جودة الشيباوی / جامعة كربلاء\ كلية التربية للعلوم الانسانية

Abstract.

This subject has been planned to search one of the most important topics of the early beginnings of a new stage of political nationalist states that appeared after the demise of the last medieval empire، the Carolingian Empire. Although that empire is considered an heir to the Classic Roman Empire، but it was established depending upon a sort of tribal- theological alliance between the Christian Catholic Papacy and the leaders of the Frankish people who were more tribal than national chiefs. However، the large territories populated by various peoples from different origins and races made the continuity of the Carolingian Empire uneasy. In addition، the Germanic tribalism or in other expression the Frinkish tradition positively participated to formulate the division of their great empire in accordance with the prevailed national ambitions. Thus، partition of the Carolingian Empire among the last emperor، Louis the Pious (814- 840 A.D) in 843 A.D appeared to be more nationalist political than traditional tribal one. It finally resulted in the foundation the most prominent two European states، France and Germany.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-08]

أولاً:- الظروف التى عُقدت فيها المعاهدة.

لم تكن معاهدة فردان حصيلة علاقات دولية انتجتها مفاوضات سياسية بحتة. بل كانت نتيجة صراعات مذهبية مسيحية ودولية، ولم يكن هناك قانون مدون ينظم فقرات تلك المعاهدة سوى الاعرف القبلية الجرمانية المتعارف عليها عند شعب الفرنجة فى عهدى حكمه الميروفنجى والكارولنجى.[1] فمنذ سنة ٤٧٦ م. تلك السنة التى سقطت فيها العاصمة الرومانية روما، او بتعبير آخر انتقال العاصمة الرومانية بشكل نهائى الى بيزنطة ظلت اجزاء غرب اوربا من دون وجود كيان امبراطورى او على الاقل كيان سياسى ينظم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية هناك.[2]

ورث غياب الامبراطورية الرومانية فى الغرب ممالك جرمانية متناثرة لم يكن يهمها شىء سوى اسباب الحياة الطبيعية للعيش وحروبها الداخلية.[3] ومع وجود تلك الكيانات الجرمانية كانت هناك كنيسة القديس بطرس فى روما التى تعد نفسها وريثة السيد المسيح وسيدة كنائس العالم على الأطلاق فى سعى حثيث للتبشير فى نشر الديانة المسيحية فيما بين تلك القبائل الجرمانية وكذلك لتغيير قسم من القبائل الجرمانية التى اعتنقت المذهب الآريوسى لتعتنق المذهب الكاثوليكى الذى تدين به الكنيسة الرومانية الغربية. وقد حققت الكنيسة الغربية نجاحاً منقطع النظير فى نشر المذهب الكاثوليكى بين العديد من تلك القبائل ولاسيما شعب الفرنجة **Frankish People** الذى سبق ان اعتنق المذهب الآريوسى ثم تخلى عنه واعتنق الكاثوليكية بفعل جهود كنيسة روما.[4]

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من أن الامبراطورية الرومانية الشرقية التى اتخذت من بيزنطة عاصمة لم تتخل على الاطلاق عن سيادتها الاسمية فى اروبا الغربية بل وحتى على ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية الغربية، الا انها تركت تلك الكنيسة وشأنها فى ممارسة نشاطاتها التبشيرية فى المراحل الاولى التى لم يطرأ فيها ثمة نشاط سياسى يشكل تنافساً او خطراً على وجود وطموحات بيزنطة. ومما يلفت الانتباه ان كنيسة القديس بطرس قد صبت اهتماماتها على شعب الفرنجة منذ ان ظهرت فيه البوادر الاولى لوجود تنظيم سياسى ووجود حكومة عُرفت بالحكومة الميروفنجية التى ظهرت وتبلورت منذ القرن بواكير القرن السادس الميلادى وسنت لها قانوناً لأول مرة عُرف بالقانون السالى **The Salic Laws** الذى طغت على بنوده الاعراف القبلية التى كان شعب الفرنجة يتعارف عليها.[5]

اخذ نفوذ الكنيسة يتنامى مع مرور الزمن فى دولة الفرنجة التى كانت تتكون من ثلاثة مقاطعات، أوستراسيا ونستريا وأكوتن. ومنذ زمن بعيد كان ملوك الافرنج ينصبون حاجباً فى بلاطهم الملكى غالباً مايكون من

---

١. نور الدين حاطوم، تأريخ العصر الوسيط فى أربه، الجزء الاول:- من اواخر العصر الرمانى الى القرن الثانى عشر، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٧، ص ص ٨٥- ٨٦.

(2) H. G. Koenigsberger, Medieval Europe 400- 1500, Longman, New York, 1989, pp. 24-25.

(3) H. G. Koenigsberger, Op. Cit, PP. 40- 41.

(4) R. H. C. Davis, A history of Medieval Europe, Longman, London, 1970, P. 109.

٥. أدوارد بروى، تفوق الحضارة الشرقية ترجمة:- يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر فى:- موريس كروزيه، تأريخ الحضارات العام، بيروت، باريس، ٢٠٠٦، ص ص ٢٧- ٢٩.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-08]

تلك المقاطعات الثلاث، وبتزايد ثقتهم بذلك الحاجب اخذت سلطاته بالتنامى حتى أصبح بمثابة الوزير الاول فى الدولة. ومنذ عام ٦١٤ م. تعاقب على هذا المنصب عدد من النبلاء بالتوارث حتى وفاة االملك الميروفنجى داجوبرت سنة ٦٣٩ م. اصبحت تلك الزعامات الثلاث تمتلك السلطة الفعلية فى الدولة مع الوجود الأسمى للملوك الميروفنجيين.[١]

وعلى اية حال تمكن زعماء بلاط اوستراسيا من توحيد سلطة دولة الأفرنج كلها بايديهم وكان ابرز زعيم حينذاك هو بيبن الثانى او بيبن هرستال الذى ظهر فى أواخر القرن السابع الميلادى (عاشور، ١٩٣). وفى سنة ٧١٤ م. انتقلت السلطة الى من بعده الى ولده شارل مارتل الذى تمكن من ان يضع السلطة الفعلية بيده عام ٧١٩ م.[٢]

ان ما يمكن ملاحظته على سلوك شارل مارتل هو انه كرس معظم جهوده الى تعزيز السلطة الداخلية لدولة الفرنجة وحمايتها من الاخطار الخارجية التى كانت تحيط بها. فقد تصدى الى تهديد العرب المسلمين الذين كانوا يشنون غزواتهم على مملكة الفرنجة من الجنوب قادمين من الاندلس وتمكن ان يلحق بهم هزيمة فى معركة بواتيه التى عرفت فى التاريخ الاسلامى بمعركة بلاط الشهداء التى لقى فيها قائد جيوش الاندلس عبد الرحمن الغافقى حتفه سنة ٧٣٢ م. وفضلاً عن ذلك فانه توجه الى شن سلسة من الغزوات على الاقوام السكسون القاطنين فى شرق مملكة الفرنجة فى المدة (٧١٨- ٧٣٨م.) وبشكل متزامن فانه شن حملتين عسكريتين مماثلتين ضد القبائل الفريزية احداهما فى سنة ٨١٩ م. والاخرى فى سنة ٨٣٨ م. وكذلك حملتين ضد البافاريين احداهما فى سنة ٧٢٥ م. واخرى فى ٧٢٨ م. وحملة واحدة ضد قبائل الالمانى عام ٧٣٠ م.[٣]

أما ما يتعلق الأمر بالإمبراطورية البيزنطية وخلافاتها مع الكنيسة الكاثوليكية الغربية فأنها اعتادت على التغاضى عن النشاطات التبشيرية المسيحية مثلما اسلفنا طالما لم تكن هناك أضراراً تلحق بها من ذلك التبشير. إلا ان تبلور وظهور دولة الفرنجة القوية التى يعتنق شعبها الكثلكة ويدينون بالولاء للكرسى البابوى فى الغرب المسيحى فى عهد زعماء البلاط الجدد أثار حفيظة وشكوك بيزنطة من تلك التوجهات الجديدة. ولما كان من الصعب أن تزج بيزنطة نفسها فى صراع ضد البابوية التى أضحت تمتلك نفوذاً روحيا واسعا فى غرب أوربا، لم تجد فى ذلك بداً سوى زعزعة الكنيسة فى تحريض اللمبارد ضدها لما كانوا يعتنقون الآريوسية آنذاك ولهم خلافات دينية جوهرية مع المعتقد الكاثوليكى الذى أمسى يحميه زعماء الفرنجة الجدد الأقوياء. مع وجود مثل هذه المعادلة الدولية الدينية، وعلى الرغم من أن الكنيسة الغربية كانت فى أمس الحاجة الى دولة الفرنجة ضد اعتداءات اللمبارد إلا ان زعماء الفرنجة او بالأحرى شارل مارتل لم يقدم على

١. سعيد عب الفتاح عاشور, اوربا العصور الوسطى, الجزء الأول:- التاريخ السياسى, مكتبة الانكلو مصرية, مصر, الطبعة التاسعة، ١٩٨٣، ص ص ١٩٢- ١٩٣.

٢. المصدر نفسه، ص ص ١٩٤- ١٩٦.

٣. سعيد عبد الفتاح عاشور, المصدر السابق, ص ١٩٣.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-08]

اغاثة البابوية فى بواكير ذلك الصراع، ولكن ما ان انتهى عهد شارل مارتل بوفاته سنة ۷۴۱ م. بدا وكأن الأمور تتجه الى التقارب بين كلٍّ من البابوية وزعماء الفرنجة الجدد لحاجة كلٍّ منهما الى الآخر.[۱]

على أية حال، يظهر أن ذلك التقارب كان ينتظر خليفة ووريث شارل مارتل، ابنه بيبن الثالث المعروف ب ببين القصير (۷۴۱- ۷۶۸ م) الذى تولى مقاليد الزعامة بعد وفاة اباه سنة ۷۴۱ م. وسرعان ما بادر الى تأسيس علاقة متينة مع البابوية.[۲] مستغلاً بذلك حاجتها الماسة لحليف ومدافع عنها ضد اللمبارد الذين اخذت الامبراطورية البيزنطية تدعمهم ضد البابوية التى اخذ نشاطها يبرز للعيان. ومن دون الدخول فى التفاصيل فى العلاقة المتينة بين ببين القصير وكنيسة القديس بطرس الكاثوليكية، فقد قام ببين القصير بعقد محلس شعبى عام لشعب الفرنجة عام ۷۵۱ م. قرر فيه عزل شلدريك الثالث او مايعرف بشلدبرت آخر الملوك الميروفنجيين وفضلاً عن ذلك فانه اراد ان يضفى على عمله ذاك خطوة شرعية فأرسل مبعوثاً الى البابا زكريا فى روما لإستشارته واخذ رايه قائلاً " من هو صاحب السلطة الشرعية فى البلاد" ؟ وقد جاءه رد البابا قائلاً " ان صاحب السلطة الشرعية هو من كانت بيده السلطة الفعلية".[۳] وبهذا ظهرت لعالم العصور الوسطى الامبراطورية الكارولنجية التى تأسست على عقب تلك الحادثة التى اطلق عليها المؤرخ البلجيكى هنرى بيرين بالأنقلاب الكارولنجى. وقد انتقلت السلطة الكارولنجية من بعد ببين القصير الى ولديه شارل وكارلومان، إلا ان وفاة كارلومان ابقت السلطة بيد اخيه شارل الذى عُرف بشارلمان.[۴]

ثانياً:-الخلفية الشرعية لمعاهدة فردان.

لم يكن هناك دستور يذكر عن الصيغة القانونية او السياسية التى تم على اساسها التوصل الى معاهدة فردان التى قَسَمَت امبراطورية الفرنجة. وكل ماهناك ان هناك عرف اعتاد عليه ملوك الفرنجة هو ان يقوم الملك بتقسيم مملكته فى اواخر ايام حياته بين ابنائه. ومنذ عهد الملوك الميرفنجيين كانت السلطة الملكية متوارثة غير منتخبة بين الابناء الذكور مع استبعاد الاناث.[۵] فعندما توفى الملك الميروفنجى البارز كلوفيس ۵۵۸م. كان اولاده تييرى وكلودومير وشيليدوبير وكلوتير قد تقسموا مملكة ابيهم. وما انقذ وحدة المملكة الا وفاة الورثة الاخوة مما جعل العرش يؤول الى كلوتير وحده الذى هو الاخر قسم المملكة بين ابنائه الاربعة شاديبير و سيجوبير وغونترات وشيلبيرت. وقد دخلت البلاد منازعات دامية الا ان وحدة المملكة ظلت متماسكة بفضل الكنيسة الكاثوليكية ومجالس الاساقفة.[۶]

---

۱. نور الدين حاطوم, المصدر السابق, ص ص ۸۸- ۹۰. ؛

۲. سعيد عبد الفتاح عاشور, المصدر السابق, ص ص, ۱۹۵- ۱۹۶.

(3) R. H. C. Davis, Op. Cit, PP. 135- 136. ; H. G. KKoenigsberger, Op. Cit, PP. 80- 81.

۴. عبد القادر احمد اليوسف, العصور السطى الاوربية ۴۷۶- ۱۵۰۰, بيروت, ۱۹۶۷, ص ص ۹۰- ۹۱.

۵. نور الدين حاطوم, المصدر السابق, ص ۸۱ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور, ص ۱۹۸. ؛ Paul Vinogradoff, Customary Law in:- The Legacy of the Middle Ages, C. G. Crump and E. F. Jacob, (Edrs), Oxford, 1962, PP. 287- 288.

۶. نور الدين حاطوم, المصدر السابق, ص ص ۸۸- ۸۹

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-08]

مما لاشك فيه انه عندما انتقل العرش الى الملوك الكارولنجيين لم يتخل الملوك الجدد ذلك العرف القديم الذى اعتاد عليه الملوك الميروفنجيين ولم ينقذ وحدة وتماسك مملكة الفرنجة الا الصف وحدها فى العهد الكارولنجى. فقبل وفاة ببين القصير سنة ٨٦٨م. تم تقسيم المملكة بين ولديه كارلومان وشارلمان، فقد أعطى شارل أوستراسيا وجزء من من اكوتن، واعطى كارلومان نستريا وماتبقى من اكوتن. وحال وفاة ببين القصير نشب صراع بين الاخوين انتهى بوفاة كارلومان سنة ٧٧١ م. ما أتاح لشارلمان اعادة توحيد المملكة تحت سيادته بشكل اوسع مما كانت عليه، إذ بسط سلطاته على الاراضى الممتدة من مصب الراين حتى مصب الروم ومن نهر المين حتى خليج بسكاى.[١]

ان ما يثير الاهتمام حقاً هو انه حتى شارلمان ذلك الرجل المحنك البعيد النظر لم يخرج على ذلك العرف الفرنجى القديم ولم يجر علبه حتى ادنى تعديلات، إذ قسم ابراطورية الفرنجة بين بين ابنائه الثلاث إلا ان وفاة اثنين منهم جعل العرش يذهب الى الولد المتبقى الوحيد، لويس التقى (٨١٤- ٨٤٠ م.).[٢]

ومع أن لويس التقى لم يكن بالامبراطور الكفوء المؤهل لقيادة امبراطورية الفرنجة ولحمايتها من التهديدات الخارجية، فانه التزم هو الآخر بقاعدة تقسيم الارث الامبرطورى او بتعبير آخر السلطة الملكية بين اولاده ذلك التقسيم الأخير الذى وأد الإمبراطورية الكارولنجية التى يمكن وصفها بانها وريثة الامبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى بعد غيابٍ طال قرابة الثلاثة قرون.[٣]

ففى عام ٨١٧ وضع الإمبراطور لويس التقى مشروعاً لتقسيم الأمبراطورية بين اولاده الثلاثة لوثر ولويس وببين. وفضلاً عن ذلك فأنه تزوج بعد ذلك التقسيم وانجب ولداً ثالثاً اسماه شارل الذى عُرف فيما بعد بشارل الأصلع. لذا فان لويس التقى اعاد القسمة بين الابناء الأربعة ليضمن للوليد الجديد حقه بين اخوته ما جعل الاخوة الكبار يتذمرون من اعادة القسمة فنشبت الخلافات بين الاخوة انفسهم من جهة وبينهم وبين ابيهم الامبراطور من جهة اخرى. وفى سنة ٨٤٠ م. توفى احد الاخوة وهو ببين ثم تلاه أبوه الامبراطور لويس التقى فى السنة ذاتها ما جعل الخلاف ينحسر بين الاخوة المتبقين الثلاث دام حتى سنة ٨٤٣ م.[٤]

ثالثاً:- عقد معاهدة فردان ونتائجها القومية.

وضعت الحرب الاهلية التى اندلعت بين ابناء لويس التقى اوزارها بالتوصل الى صيغة حل بين الاخوة المقتتلين حيث عقدوا اتفاقاً انهى الحرب فى فردان الواقعة على نهر الموز فى آب ٨٤٣ م. تقاسموا بموجبه املاك ابيهم. وقد حدث ان تقسموا اجزاء المملكة وفقاً للغة السائدة من المملكة.[٥] فكان نصيب شارل الاصلع الأجزاء الناطقة باللغة الفرنسية، نستريا وأكوتن والماركية الأسبانية الوقعة على الحدود الجنوبية. وكان نصيب

١. سعيد عبد الفتاح عاشور, المصدر السابق, ٢٠٠.

٢. سعيد عبد الفتاح عاشور, المصدر السابق, ص ٢١٣.

٣. المصدر نفسه, ص ص ٢١٣- ٢١٤.

٤. نور الدين حاطوم, المصدر السابق, ص ص ٢٠٢- ٢٠٥.

(5) James Harvey Robinson and James Harvey Robinson, General History of Europe, New York, 1926, P 207. ; https://m.marefa.org/. Accessed in 1/ 8/ 2020.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-08]

لويس الألمانى الأجزاء الناطقة باللغة الألمانية الواقعة شرق الراين فى أوستراسيا فضلاً عن بافاريا وسوابيا وسكسونيا. اما لوثر فكان نصيبه الجزء الأوسط من المملكة اى بتعبير آخر الجزء الواقع بين هاتين المملكتين الجديتين، وقد شمل فريزلاند أو ماكان يُعرف بالأراضى المنخفضة والجزء المتبقى من أوستراسيا الواقع غربى الراين وبرغنديا وبروفانس.[1]

لا تقع اهمية معاهدة فردان فى انها وضعت النهاية للإمبراطورية الكارولنجية فحسب بل أنها كانت بمثابة الخطوة المبكرة لإيجاد دول قومية جديدة فكان نصيب شارل الأصلع المناطق الناطقة بالفرنسية، ونصيب لويس الألمانى المناطق الناطقة بالألمانية. أما نصيب لوثر كان بمثابة خليط ثقافى قومى بين هاتين المملكتين، وقد سميت هذه المملكة الوسطى بلوثر أنجيا التى تعنى حينذاك بمملكة لوثر، وقد حرفت مع مرور الزمن فصار اسمها اللورين التى كانت مثار خلافات بين فرنسا والمانيا على مرور الزمن.[2]

وعلى أية حال، لم يكتف التحكيم والتقسيم على هذا الحال فقط، بل ذهب أولئك الأخوة الى اجراء آخر عندما اجمعوا على إداء قَسَمْ ستراسبورك. فقد سبق أقسم شارل ولويس الألمانى على عدم التجاوز على مملكة أخيهما لوثر سنة ٨٤٢ م، فأدى اليمين لويس امام جنده فى اللغة الألمانية على احترام المملكة الوسطى وفعل مثل ذلك شارل عندما اقسم امام جنده باللغة الفرنسية.[3]

الخاتمة.

تستخلص مما مر بحثه ان معاهدة فردان قد انتجتها ظروف متباينة معقدة تمثلت بوجود صراعات دولية فى ظهور قوة دولية جديدة هى دولة الفرنجة ومن ثم امبراطورية الفرنجة حاولت التوسع على حساب الارث التقليدى للإمبراطورية البيزنطية التى طالما نادت بالاحتفاظ به ولو اسميا من جهة، وكذلك الصراعات العقائدية المسيحية التى تمثلت بالخلافات الآريوسية – الكاثوليكية التى أخذت حيزاً لا يُستهان به من التاريخ الاوربى الوسيط من جهة اخرى. وفضلاً عن ذلك كله فان الصبغة القبلية المتمثلة بالأعراف الجرمانية المتوارثة من الآباء الى الأبناء كانت لها بصمتها الواضحة فى عقد تلك المعاهدة اولاً ومن ثم تقسيم تلك الامبراطورية الى ثلاثة دول ثانياً. وعليه فقد اثبتت الوقائع التاريخية ان الاختلاف القومى العرقى لا يمكن ان يكون من الموانع الاساسية من الاختلاط القومى فى دولة واحدة. وخير مثال على ذلك هو الملكية الثنائية، النمسا والمجر اللتان كانتا هما الأخريتان جزئاً من الامبراطورية الكارولنجية ولم ينفكا عن بعضهما إلا عقيب الحرب العالمية الأولى.

---

١. سعيد عبد الفتاح عاشور, المصدر السابق, ص ٢١٤.

(2) Sidney Painter, The Rise of the Feudal Monarchies, New York, 1967, PP. 85- 86. ;
سعيد عبد الفتاح عاشور, المصدر السابق, ص ٢١٦.

(3) J. Roblinson, An Introduction to the History of the Modern Europe, Vol:- II, Boston, 1946, PP. 118-119.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-08]

قائمة المصادر.

ـ موريس كروزيه، تأريخ الحضارات العام، بيروت، باريس، ٢٠٠٦.

ـ نور الدين حاطوم، تأريخ العصر الوسيط فى أربه، الجزء الاول:- من اواخر العصر الرمانى الى القرن الثانى عشر، ط ١، دار الفكر، بيروت،١٩٦٧.

ـ سعيد عب الفتاح عاشور، اوربا العصور الوسطى، الجزء الأول:- التاريخ السياسى، مكتبة الانكلو مصرية، مصر، الطبعة التاسعة، ١٩٨٣.

ـ عبد القادر احمد اليوسف، العصور الوسطى الاوربية ٤٧٦- ١٥٠٠، بيروت، ١٩٦٧.

__ H. G. Koenigsberger، Medieval Europe 400- 1500، Longman، New York، 1989.

__ James Harvey Robinson and James Harvey Robinson، General History of Europe، New York، 1926.

__ J. Roblinson، An Introduction to the History of the Modern Europe، Vol:-II، Boston، 1946.

__ R. H. C. Davis، A history of Medieval Europe، Longman، London، 1970.

Sidney Painter، The Rise of the Feudal Monarchies، New York، 1967.

__ The Legacy of the Middle Ages، C. G. Crump and E. F. Jacob، (Edrs)، Oxford، 1962.

__ https://m.marefa.org/. Accessed in 1/ 8/ 2020.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-08]